إنتاج العامل الزراعى فى مصر

نشرت صحيفة صباحية كلمة لطبيب كبير عقد فيها المقارنة بين إنتاج العامل الزراعى فى أميركا و إنجلترا والعراق ومصر ، وكانت الأرقام قريبة من هذه :

أميركا	٦٩١	أى ٧
انجلترا	٥٤٠	« ٥
العراق	٩٢	« ١
مصر	٩٠	« ١

ونسب الطبيب الفرق الشاسع بين إنتاج العامل الزراعى فى أميركا وانجلترا وزميلهما فى مصر إلى عاملين هما الجهل والمرض .

أما أن فى مصر جهلا فاشيا وأمية تقصر ٨٠ ٪ من السكان فلا شك فيه .

وأما أن فى مصر مرضين مستوطنين هما الانكلستوما والبلهارسيا وأن هذين المرضين يضعفان الفلاحين وينقصان قدرتهم على العمل والإنتاج فلا شك فيه كذلك .

ولكن ، هل إنتاج الفلاح الأميركى سبعة أضعاف إنتاج زميله المصرى راجع إلى الفرق بين الرجلين فى صحة الجسم والقدرة على العمل ؟

وهل هذا الفرق الشاسع راجع إلى جهل الفلاح المصرى القراءة والكتابة ؟

هذان سؤالان يترتب على الإجابة عنهما رسم طريق الإصلاح .

هب أن الفلاح المصرى نام ليلة وأصبح فى الصباح وقد شفاه الله من المرضين وأصدرت وزارة الصحة بلاغا رسميا يحمل البشرى السعيدة بأن فلاحى مصر قد أصبحوا أصحاء لا مرض فيهم .

وهب أن المعجزة لم تقف عند هذا الحد بل أصبح الصباح وإذا كل فلاحى مصر يقرأون ويكتبون وأصدرت وزارة المعارف بالاشتراك مع وزارة الشؤون الاجتماعية بلاغا يزف البشرى السعيدة إلى مصر والعالم أن الأمية قد أنقشعت ظلماتها عن وادى النيل وأن المصريين جميعا يقرأون ويكتبون وأن مستواهم العلمى ارتفع عن التعليم الإلزامى إلى التعليم الابتدائى وأن كل مصرى ومصرية يحمل الشهادة الابتدائية .

هب أن هاتين المعجزتين حصلتا بين ليلة ويوم هل ننتظر أن يبلغ محصول مصر الزراعى سبعة أضعاف ما كان عليه فى نهاية العام الذى حصلت فى أوله المعجزتان .

الجواب على هذا بالنفى حتما فإن زوال المرض وزوال الأمية لن يرفعا محصول فدان القطن من ٤ قناطير إلى ٢٨ قنطارا ومحصول القمح لن يرتفع من ٦ أرادب إلى ٤٢ أردبا، لأن الفلاح الذى كان يزرع الفدان شفى من البلهارسيا والانكلستوما ولأنه عرف القراءة والكتابة .

قد يترتب على المعجزتين بل سيترتب عليهما حتما زيادة فى المحصول ولكن هذه الزيادة لن تبلغ هذا الحد . قد تبلغ الزيادة ٢٠ ٪ أو ٥٠ ٪ أما سبعة أمثال فلا .

لابد إذن لوجود هذا الفرق الشاسع بين إنتاج الفلاح الأميركى وزميله المصرى من أسباب أخرى بجانب المرض والجهل فلنبحث عن هذه الأسباب .

أول ما يخطر ببالى هو نسبة عدد الفلاحين فى أميركا إلى الأرض التى يزرعونها ونقس هذه النسبة فى مصر .

لو أن الأرض الزراعية فى مصر وهى نحو خمسة ملايين من الأفدنة أصبحت خمسة عشر مليونا إذن لجاز أن يصبح المحصول فى مصر ثلاثة أمثاله .

السبب الأول إذن بعد المرض والجهل أو قبلهما هو ضيق الأرض الزراعية بالعمال الزراعيين ننتقل ، بعد هذا إلى السبب الثانى :

العامل الزراعى فى أميركا يستعمل فى الزراعة آلات ميكانيكية توفر المجهود البشرى وتسرع فى أداء العمل، فالمحراث الميكانيكى الذى يحرث الأميركى به أرضه يحرث فى اليوم عشرة أمثال ما يحرثه المحراث المصرى ولا يكلف الفلاح الذى يسيره من العناء والجهد مثل ما يتكبد الفلاح المصرى وهو يسير خلف محراثه من الصباح إلى المساء .

والفلاح الأميركى إن احتاج إلى رى محصوله استعمل ماكينة تروى الأرض وهو مستريح بخلاف زميله فى مصر الذى يروى أرضه بالشادوف والطنبور فيبذل من الجهد ما يشقيه ليروى قطعة أرض صغيرة المساحة .

أضف إلى ذلك ماكينات الحصاد والدراس وغيرهما مما يوفر الجهد البشرى ، فلو أن الفلاح المصرى استعمل هذه الآلات بعد أن تبلغ مساحة الأرض المنزرعة ١٥ مليون فدانا بدل ٥ ملايين إذن لزاد المحصول من ثلاثة أضعاف إلى خمسة .

ونتقل بعد هذه الخطوة خطوة أخرى .

لو أن الصناعات الزراعية أضيفت إلى الاقتصاد القومى، ولو أن المحاصيل التى يزرعها الفلاح الآن أضيف اليها محاصيل مما تثبت التجارب صلاحيتها لمناخ مصر وتربتها، ولو أن اختيار الأسمدة للمحاصيل الحالية اتبع فيه ما يتبع فى أميركا من تحليل التربة لتعرف ما يلزمها من عناصر لكى يكون المحصول الذى يزرع فيها أحسن ما يكون .

ولو أن التربة حللت لمعرفة خير ما تنتج من محصولات فلا يزرع فيها إلا ما يصلح لها وتصلح له .

إذن لبلغ الإنتاج سبعة أمثاله الآن .

* * *

ليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون مضاعفة الأرض المزروعة فى مصر وإن هذه الزيادة تحتاج إلى مشروعات وإلى نفقات ، فإذا تحددت المشروعات ووجدت نفقاتها فان يحول مرض العامل الزراعى ولا جهله دون تنفيذ المشروعات .

وليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون استخدام الآلات الحديثة مكان آلات الزراعة التى يستعملها الفلاح المصرى وهى بذاتها التى كان يستعملها قدماء المصريين ، فإن الفلاح المصرى له من الذكاء ما مكنه من إدارة الآلات حيثما وجدت وقيادة السيارات وسيارات النقل وجرارات المحاريث لا يحول مرضه ولا جهله بينه وبين استعمالها كما نشاهد فى التفاتيش والدوائر .

وليس مرض الفلاح وجهله هما اللذان يحولان دون إنشاء معامل تحليل التربة للتأكد من صلاحيتها لنوع من المحصولات دون النوع الآخر ولا لتحليل أنواع السماد فلا يستعمل نوع لمحصول إلا إذا كان أغنى الأنواع بالمخصبات اللازمة للمحصول بذاته .

أما ان فى الفلاح أمراضا تتمنى له الشفاء منها فلا جدال فيه ، وأما ان جهل الفلاح يجب انتشاله منه فلا نزاع عليه .

وإما أن تحمل الفلاح تبعة نقص إنتاجه عن إنتاج زملائه فى أميركا وانجلترا وغيرهما فما لا يجوز أن نسلم به .

علينا نحن المتعلمين الإصحاء أن نزيد الأرض التى يزرعها الفلاح ، وعلينا أن نوفر له الآلات الحديثة التى تود عليه بعض عافيته وتهبه قسطا من الراحة ، وعلينا أن نقول له ازرع هذا المحصول هنا وازرع ذلك هناك واستعمل هذا السماد لهذا واستعمل هذا السماد لذاك .

فإذا فعلنا فان دأب الفلاح المصرى وصبره وحبه للعمل يجعله ينسى مرضه ويجعل جهله قليل الخطر ويجعل المحصول المصرى لا يقل عن الإنتاج الأميركى .

فهل فى الإمكان زيادة الأرض وتوفير الآلات؟ هذا السؤال يجيب عنه القادة الأصحاء المتعلمون .

عريان يوسف سعد